مجلة مدارات سياسية
EISSN: 2710 - 8341 ISSN: 2588 - 1825
المجلد (08) / العـدد: (01)، (2024)، ص 200 - 218

حقل الدراسات الاستخباراتية: من السرية إلى العلنية
دراسة في النشأة والتطوروالمفهوم

The Field of Intelligence Studies: From Covert to Open
A study in Origin, Development, and Concept

محمد الزين محمد أحمد إبراهيم محمد
كلية أحمد بن محمد العسكرية، أكاديمية جوعان للدراسات الدفاعية، (قطر)، mohamed.elzin@abmmc.edu.qa

تاريخ الإستلام: 2024/02/24 تاريخ قبول النشر: 2024/06/10 تاريخ النشر: 2024/06/30

ملخص:

تسعى هذه الدراسة لتقديم مقاربة نظرية حول دراسة الاستخبارات باعتبارها تخصصاً فرعياً حديثاً نسبياً من الدراسات الأمنية. وتنطلق الدراسة من فرضية أنّ الدراسات الاستخباراتية تتداخل مع الحقول المعرفية الأخرى، المتسمة بطابعها متعدد التخصصات والانفتاح على مناهج ونظريات ومفاهيم مختلفة، مما أدت إلى تسريع عملية إضفاء الطابع الأكاديمي على الحقل المعرفي للاستخبارات في أبعادها النظرية والمفاهيمية، لتوفير قاعدة معرفية لممارسي الاستخبارات لتفسير ماضيهم وفهم حاضرهم والتنبؤ بمستقبلهم. وتتمحور المشكلة حول سؤال رئيس: إلى أي مدى استطاع المختصون في مجال الاستخبارات والعلاقات الدولية، التوصل إلى مقاربات، تعد كأساس معرفي لتطوير دراسات الاستخبارات كحقل أكاديمي؟ عليه تم توظيف منهج المنهج التاريخي، والمنهج المقارن لمعالجة إشكالية البحث والكشف عن الواقع والمتغيرات. توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان أهمها أنّ دراسة الاستخبارات معقدة ومتداخلة، أدت إلى تباين الرؤى في التوفيق ما بين النظرية والتطبيق. وأن هذه إحدى نقاط القوة في هذا الحقل الجديد والمجادلة من أجل توسيع وتعميق دراسات الاستخبارات كحقل أكاديمي.

الكلمات مفتاحية: الدراسات الاستخباراتية؛ السرية، الأكاديمية؛ المقاربات الاستخباراتية؛ الأدبيات الاستخباراتية.

Abstract:

Enter This study seeks to provide a theoretical approach to the study of intelligence as a relatively new sub-discipline of security studies. The study is based on the premise that intelligence studies overlap with other fields of knowledge, which are characterized by their multidisciplinary nature and openness to different approaches, theories and concepts, which has led to accelerating the process of imparting an academic character to the field of intelligence knowledge in its theoretical and conceptual dimensions, to provide a knowledge base for intelligence practitioners to interpret their past and understand their present. And predict their future. The problem revolves around a main question: To what extent have specialists in the field of intelligence and international relations been able to come up with approaches that serve as a knowledge basis for developing intelligence studies as an academic field? Accordingly, the historical method and the comparative method were employed to address the problem of research and reveal reality and variables. The study reached several results, the most important of which was that the study of intelligence is complex and overlapping, which led to differing visions in reconciling theory and practice. This is one of the strengths of this new field

and the argument for expanding and de Intelligence Studies: Whispering Loudly from Secret to Public.

Keywords: Intelligence studies; covert, academic; intelligence approaches; intelligence literature.

1. مقدمة:

تذهب العديد من الدراسات إلى أن مهنة الاستخبارات تعد ثاني أقدم مهنة في تاريخ البشرية، مارسها الانسان منذ بداية التواصل بين أبناء الجنس البشري، وظلّ التعاطي معها بالنسبة له ضرورة ملحة تدفعه إليها غريزته الفطرية للحصول على معلومة، ومحاولة استقراء المجهول واستنباطه.

تطورت سبل الحياة، فانتقل الانسان للاستقرار في صيغة جماعات بشرية؛ مما فرض عليه إرسال أفراد للاستطلاع وجمع المعلومات عن المجموعات المجاورة، لمعرفة طريقة حياتها وتوجهاتها، وأيضاً نواياها لحماية نفسه، وربما تمهيداً للاعتداء عليها أو للتحالف معها، وهكذا تطورت الاستخبارات تدريجياً؛ مع ظهور الدول والإمبراطوريات واندلاع الحروب.

يختلف علم الاستخبارات عن العلوم والمعارف الأكاديمية الأخرى، لأنه علم (تركيبي) يتعامل مع هذه المحددات والأنماط المتعددة المتغيرات، ومتشعبة الجوانب والأبعاد، ويعتمد على مجموعة عوامل شخصية وسلوكية (نظرية وعملية)، وهي بالتالي محددات وأنماط تختلف وتتغاير، ولهذا تستعصى على الحصر في إطار نظري محدد، وهي متداخلة مع علوم أخرى مثل: (العلاقات الدولية، علم المنطق، العلوم التاريخية، الاجتماعية، النفسية، السياسية)، ونظراً لارتباطه بشكل أوثق مع العلوم العسكرية والأمنية، فان الجامعات والأكاديميات والكليات تطلق عليه اسم: (الدراسات الاستخباراتية والأمنية) .

لهذا؛ تعد دراسات الاستخبارات تخصصاً فرعياً حديثاً من الدراسات الأمنية، والتي تعتبر موضعاً من مواضيع واهتمامات العلاقات الدولية، وهي مثال حي للسياسة الواقعية في العمل، فهي أحد الأنشطة التي تضطلع بها الدول لحماية وتعزيز مصالحها الاستراتيجية، على النحو المحدد في مفهوم الأمن القومي. ونظراً لهذا الارتباط الوثيق بين الاستخبارات والأمن القومي، فإن الجامعات التي تقدم الدراسات الاستخباراتية بشكل مركّز تربط بشكل عام بين الاستخبارات والأمن في عنوانها[1].

تبلورت دراسات الاستخبارات كتخصص أكاديمي وتكامل علمي بين الاستخبارات ومؤسسات التعليم العالي، والمساهمة في تفسير الماضي وفهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل. وهي تشكل مجموعة من المعرفة الأكاديمية التي تعد جزءاً لا يتجزأ من الدراسات الأوسع للعلاقات الدولية والدبلوماسية الدفاعية للحكومة والسياسة الخارجية والداخلية للدول، مع تأكيد فائدتها الخاصة لمحترفي الاستخبارات. ومع نمو الأدبيات وتخصيص برامج الدرجات الأكاديمية والأقسام وحتى الكليات لدراسة وتدريس الاستخبارات، تسارع ظهور هذا المجال كنظام أكاديمي.

لكن؛ في الوقت نفسه، هناك فجوات كبيرة في الأدبيات بسبب الفشل العام في ضمان تراكم المعرفة وتجميعها مع مرور الوقت. الأمر الذي يتطلب تحسين دراسات الاستخبارات كنظام أكاديمي، وتعزيز أفضل الممارسات الموجودة في الأوساط الأكاديمية من خلال تحديد المعرفة الجديدة واكتسابها وتخزينها وإنشائها ونشرها. وهذا سيؤدي بدوره إلى تعزيز تماسك دراسات الاستخبارات كنظام أكاديمي أثناء الدراسة. وفي نفس الوقت زيادة تأثيرها على الفهم العام، والممارسات الحكومية.

تروم هذه الدراسة إلى عملية إجراء مسح عام لمعرفة وتقصي الطابع الأكاديمي على الاستخبارات، ووصف ظهوره كمجال للتعليم والبحث الأكاديمي، المعروف باسم دراسات الاستخبارات. بالإضافة إلى ذلك، فحص الخصائص الأكاديمية لهذا المجال، والمقاربات المختلفة المستخدمة في محاولة لفهم جوهر دراسات الاستخبارات. وعليه؛ تتمحور الدراسة حول سؤال رئيس: إلى أي مدى استطاع المختصون في مجال الاستخبارات والعلاقات الدولية، التوصل إلى مقاربات، تعد كأساس معرفي لتطوير دراسات الاستخبارات كفرع أكاديمي؟، وتتفرع من هذا السؤال مجموعة من الأسئلة، ما الذي أدى إلى تطور عملية إضفاء الطابع الأكاديمي على الاستخبارات وتوسعه في العقود الأخيرة؟ وكيف أثر ذلك على طبيعة برامج دراسات الاستخبارات في الدول؟ وما هي الأساليب المختلفة المستخدمة لدراسة الاستخبارات؟ وتنطلق الدراسة من فرضية أساسية بأن الاستخبارات وأنشطتها وتأثيرها على الأمن القومي للدولة وعمليات اتخاذ القرار فيها دفع صناع السياسات والقادة لمعرفة أهمية الدور الذي تلعبه الاستخبارات. أدت هذه التطورات والمخاوف إلى تسريع إضفاء الطابع الأكاديمي على الاستخبارات. وتأسيساً على ذلك تهدف هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن الأسباب التي أدت إلى زيادة الاهتمام بالاستخبارات، وطبيعة وشكل الاختلافات التي جرت بين المدارس المتعددة فيما يتصل بكنها، وتعريفات الاستخبارات، وتسعى الدراسة لرصد التطور التاريخي لدراسة الاستخبارات، والمقاربات الحديثة له، وعملية التحول الأكاديمي للاستخبارات، وتحليل واستنتاج العلائق التي تربط بين الاستخبارات والسياسة الخارجية.

بناءً عليه؛ تم تقسيم الدراسة إلى عدد من المحاور التي تحاول تغطية جوانب الموضوع وأبعاده المختلفة وذلك على النحو التالي:

1. الدراسات الاستخباراتية: السياق التاريخي والمفهوم:

يقول وينيستن تشرشل[2] كلما أمكنك النظر إلى الوراء، أمكنك الرؤية إلى الأمام "The farther back you can look, the farther forward you are likely to see"، وقد ظهر أنّ تجارب الماضي الطويلة الأمد ألحقت ضرراً بتحليل الاستخبارات بقدر ما ألحقه الفشل في إدراك مدى التغير الذي طرأ على العالم بسبب عدم استصحاب التاريخ، فتفسير الحاضر والتنبؤ بالمستقبل يتطلب فهماً للماضي، والترياق الأكثر فعالية لمعالجة نقص الانتباه التاريخي في دراسة الاستخبارات هو اتباع نصيحة ونستون تشرشل . لقد تبيّن مع اندلاع

الحرب العالمية الثانية قصور أجهزة الاستخبارات ومحدودية معرفتها بما تملك من معلومات وتاريخ ودراسات استخباراتية، فليس هنالك أنظمة ولا بناء تنظيمي للاستخبارات، وهو ما قاد لمحاولة سد تلك الفجوة بحلول منتصف القرن العشرين؛ حيث بدأ حقل دراسات الاستخبارات ينمو ويتطور.

تتفق معظم الأدبيات التي تناولت الاستخبارات إلى أنّ البدايات الأولى تعود لنهايات الخمسينيات وبدايات الستينيات من القرن الماضي، ويأتي هذا التأخر النسبي نظراً لأنّ الحديث عن الاستخبارات مسألة صعبة ومعقدة في الأساس، وقد تتحول إلى موضوع ملغم عندما يتعلق بعمل ونشاط الاستخبارات، لأن نشاط أجهزة الاستخبارات عموماً، والعمل السري وسياسة الأمن الوقائي خصوصاً كانت محاطة بقواعد رسمية[3].

ارتبطت كذلك الاستخبارات بأنها قرينة التجسس والحيل ولذلك تحاشى دراستها الأكاديميين باعتبارها مجالاً غير محترماً للدراسة، بل عدوها أحد أخطر التابوهات،[4] وقد يكون مردّ ذلك لطبيعتها التي تقوم على قاعدة (المعرفة على قدر الحاجةa need-to-know basis[5]) كما أنها جهاز صامت ومنغلق وهو ما قاد إلى حالة تشبه البارانويا والارتياب المقلق لدي الأكاديميين، الأمر الذي دفع وسلي وارك[6] للقول بأنها "البعد المفقود" في العلاقات الدولية intelligence as the ‘‘missing dimension

لكن مع نهايات خمسينات القرن الماضي، وإثر مجموعة من الإخفاقات التي منيت بها الاستخبارات، شهد الدراسات الاستخباراتية تطوراً كبيراً في الأدب الاحترافي تجلى في ظهور العديد من الباحثين، وبدأت تنمو مدارس فكرية تسعى لربط الاستخبارات بمعايير الحكم والعدالة، وهو ما وضح في انتشار الدوريات والكتب التي تتناول بالدراسة الاستخبارات، فضلاً عن تدريس مقررات أكاديمية عن الاستخبارات للطلبة الجامعيين[7].

1.2جينيالوجيا الاستخبارات وتعريفاتها:

يقود البحث في حقيقة الكلمة وأصلها وجينيالوجيا المصطلح ونسبه إلى أنّ الاستخبارات من التعبيرات الحديثة التي برزت خلال الحرب العالمية الأولى، ويتفق الكثير من الباحثين على أنه يصعب تقديم مفهوم مُوحّد للاستخبارات لطبيعة عملها، ولاختلاف استعمال الكلمة والمدلول بين الدول، وتباين السلطات والصلاحيات للأجهزة الاستخباراتية والأمنية في الدولة الواحدة. والاستخبارات تعني شيئاً مختلفاً لكل فرد، ويشير شيرمان كينت في ذلك إلى أن الدلالات التي ينطوي عليها مصطلح الاستخبارات هي دلالات عامة وشاملة، ولا يمكن حصرها بسهولة؛ لأنها تتناول الأنشطة البشرية كافة. لكن يؤكد أن هنالك عناصر ثلاثة تشكل كُنه الاستخبارات وهي: (المعرفة، النشاط، والتنظيم) [8].

بينما يرى غاري شميت وابراهام شولسكي في كتابهما المشترك (الحرب الصامتة) أن الاستخبارات تعني تحصين الدولة ضد أي اختراقات محتملة، والحيلولة دون حصول الخصوم على معلومات سرية جزءاً حيوياً مرتبطاً بالعمل الاستخباري الصرف، ويؤكدان على الطبيعة المزدوجة والمعقدة للعمل الاستخباري الذي يشمل إلى جانب التعامل

الفطن مع المعلومات السرية المستجمَعة، كذلك الإسهام في إثارة الخلافات بين الخصوم والمنافسين، سواء أكان هؤلاء دولاً أم كيانات[9].

يضيف كل من جيل وبيثيان بعداً إضافياً في تعريف الاستخبارات، وهي العمليات السرية، فقد قاما بتعريف الاستخبارات على انها مصطلح شامل يشير إلى مجموعة من الأنشطة التي تبدأ من التخطيط وجمع المعلومات إلى التحليل، ورفعها إلى صانع القرار، والتي يتم القيام بها بصورة سرية، والتي تهدف إلى الحفاظ على الأمن النسبي، أو تعزيزه من خلال توفير تحذير مسبق للتهديدات القائمة، أو المحتملة بطريقة تتيح تحرك الدولة في الوقت المناسب لتنفيذ سياسة أو استراتيجية وقائية تستهدف استيعاب التهديدات باستخدام الوسائل كلها، بما ذلك العمليات السرية[10].

على مستوى المؤسسات يدور التعريف الأمريكي للاستخبارات عموماً حول عملية إنشاء منتجات استخباراتية من مصادر سرية ومفتوحة ليستخدمها صناع القرار، والاستخبارات الأمريكية تضيف بعض الوظائف العملياتية إلى تعريف الاستخبارات، ومن ذلك الدعاية والعمليات السرية، والتدخل في الصراعات من خلال إرسال وحدات شبه عسكرية. بينما الاستخبارات البريطانية ترى أنها المعلومات السرية التي يتم الحصول عليها بوسائل خفية[11]. ولهذه التعريفات المتباينة تأثير كبير على توجهات البرامج الاستخباراتية، والمناهج المستخدمة في دراستها.

عموماً؛ ومن جملة تلك التعاريف يمكن القول بأن الاستخبارات، هي حقائق مبنية على معلومات متيسرة عن دولة أجنبية أو منطقة عمليات، وهي محصلة جمع وتقييم وتفسير المعلومات المتعلقة بناحية أو عدة نواحي عن الدولة الأجنبية أو منطقة العمليات المعنية، مع الخروج بالاستنتاج والخلاصة والتي تعتبر ضرورية لتخطيط وتنفيذ وتطوير الخطط والسياسات والعمليات، ويجري إنتاجها في كل من وقتي السلم والحرب.

2.2 الآباء المؤسسين:

يعد شيرمان كينت (1903-1986) الأب الروحي والمؤسس للاستخبارات الغربية عامة، والاستراتيجية خاصة، وقد صدرت له العديد من الكتب والدراسات، ومن ضمنها "الاستخبارات الاستراتيجية" عام 1949 كأول كتاب متخصص في الدراسات الاستخبارية، وعمل كينت أستاذاً للتاريخ في جامعة ييل بالولايات المتحدة الأمريكية، ومحللاً استراتيجياً في وكالة الاستخبارات المركزية، وهو أكاديمي وممارس في مجال الاستخبارات وقد لاحظ شيرمان كينت في عام 1955 أن مهنة الاستخبارات تفتقر إلى الأدبيات ونتيجة لذلك لم تكن قادرة على ضمان التقاط المعرفة حول أعمال الاستخبارات وإتاحتها للآخرين لمعالجة هذا القصور[12].

ضمن هذا السياق يشير كل من كوبي مايكل وآرون كورنبلوث، إلى أنّ جذور دراسة الاستخبارات تعود كمادة أكاديمية إلى الولايات المتحدة، التي تعتبر حاليًا اللاعب المهيمن في هذا المجال. بعد سنوات قليلة فقط من الحرب العالمية الثانية، بدأ شيرمان كينت مناقشة ما اعتبره التكامل الطبيعي والضروري بين الاستخبارات والأوساط الأكاديمية – من خلال إنتاج أدبيات استخباراتية – كأداة أساسية للتطوير المهني للاستخبارات.

أهمية عمل كينت لسياسة أمريكا العالمية، الذي نُشر عام 1949، لم يغب عن أعين مسؤولي الاستخبارات والسياسة عندما تولت الولايات المتحدة الهيمنة الدولية بعد الحرب. ومع ذلك، فإن الاستخبارات كمجال للتعليم والبحث الأكاديمي لم يكن له الأولوية ولم يكن بارزًا في العقود الأولى بعد الحرب العالمية الثانية. وقد استعادت اهتمام الرأي العام بعد سلسلة من فضائح المخابرات الأمريكية خلال منتصف السبعينيات، والتي شملت محاولات الاغتيال والمراقبة الداخلية والانتهاكات على أيدي وكالات المخابرات الأمريكية. قادت لجنة مجلس الشيوخ الأمريكي المختارة دراسة العمليات الحكومية المتعلقة بالأنشطة الاستخباراتية في الفترة من 1975 إلى 1976، والمعروفة باسم لجنة الكنيسة، تحقيقات مكثفة في مجتمع الاستخبارات الأمريكي.

بدأ الحراك التوسعي يزداد؛ ففي عام 1957 ظهر واشنطن بلات ولاحظ أن الأدبيات التي تتناول الاستخبارات الاستراتيجية ضئيلة، ولا تعكس أفضل ما هو معروف الآن[13]، أرجع بلات ذلك إلى حداثة السعي المنهجي للاستخبارات الاستراتيجية، وجزئيًا إلى نقص دورات وطلاب الدراسات العليا، بالإضافة إلى الندرة العامة للباحثين حول هذا الموضوع. وهو ذات الأمر الذي أكده ستيفن مارين في مقاله له بعنوان (تحسين دراسة الاستخبارات كنظام أكاديمي)[14] إلى أنّ فترة الخمسينيات شهدت قلقاً نظراً لنقص الأدبيات المتعلقة بمهنة الاستخبارات. كان ضمان الحصول على المعرفة المتعلقة بأعمال الاستخبارات وإتاحتها للآخرين أمرًا غير مؤكد. ويقول إنه تم حل مشكلة الندرة حيث ساهمت كل من الحكومة والأوساط الأكاديمية بالأدب لتعزيز المعرفة في هذا المجال. ومع ذلك، فهو يقول إن الأدبيات المتعلقة بدراسات الاستخبارات لم يتم تجميعها وتقييمها في عملية منظمة حتى الآن، ويرى مارين أن دراسات الاستخبارات يجب أن تحاكي الممارسات الأساسية التي تمكّن أي مجال من مجالات المعرفة من أن يصبح تراكميًا، وبذلك يصبح نظامًا أكاديميًا متماسكًا خاصاً به، مع الحاجة إلى تقييم دراسات الاستخبارات بحثاً عن الثغرات كخطوة لتصبح أكثر تراكماً.

من ناحية أخرى؛ ركز العديد من الباحثين الذين قاموا بتقييم الأدبيات المتعلقة بدراسات الاستخبارات على لمحات عامة أو حالة الأدبيات في بلدان معينة[15]، وبعض هذه التقييمات كما يبيّن كرستوفر أندرو في ورقته الموسومة (تحليل الاستخبارات يحتاج للنظر إلى الوراء قبل النظر إلى الامام) إلى أهمية التعلم من التاريخ سواء في حد ذاته أو لتحسين الممارسة في المستقبل[16] وهي الفكرة التي يمكن الاستفادة منها لتجنب تحذير الفيلسوف الاسباني سانتايانا عندما قال: "أولئك الذين لا يستطيعون تذكر الماضي محكوم عليهم بتكراره[17]". وعليه يعد كريستوفر أندرو أحد الآباء المؤسسين لتاريخ المخابرات البريطانية، عمل محرراً في دورية "الاستخبارات والأمن القومي" وعميداً للدراسة الأكاديمية للاستخبارات في بريطانيا، وعميداً لكلية التاريخ بجامعة كامبريدج، وأرّخ لجهاز الاستخبارات البريطاني (MI5)ونشر ذلك في كتاب عام 2009 بمناسبة مرور 100 عام على تأسيس الجهاز، كما صدر له عام

2018كتاباً مرجعياً في تاريخ الاستخبارات بعنوان" العالم السري.. تاريخ الاستخبارات"، تناول خلاله تاريخ الاستخبارات منذ مصر الفرعونية حتى أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين.

في سياق متصل يشير سوينسون في كتابة (تلبية الحاجة المستمرة لمجتمع الاستخبارات إلى أدب استخباري) إلى أنه، ونتيجة لذلك تم حل العديد من مشكلات الخمسينيات والتي تعتبر السنوات الأولى لدراسات الاستخبارات، حيث ساهمت كل من الحكومة والأوساط الأكاديمية في تقدم المعرفة في هذا المجال. وقد شاركت حكومة الولايات المتحدة بشكل تقليدي في هذه العملية من خلال مركز وكالة المخابرات المركزية لدراسة الاستخبارات، ومركز أبحاث الاستخبارات الاستراتيجية التابع لجامعة الاستخبارات الوطنية[18]. وفي بريطانيا، حيث كانت مؤسساتها الاستخباراتية سرًا مفتوحًا، تسبب كتاب وينتربوتهام عام 1974، "السر الفائق"، وغيره من الروايات التاريخية الموثوقة عن دور المخابرات البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية، في زيادة شعبية الاستخبارات في المملكة المتحدة. علاوة على ذلك، أدى إصدار بعض السجلات بعد الحرب الباردة التي توضح تفاصيل أنشطة المخابرات البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية إلى زيادة الاهتمام الأكاديمي بأبحاث ودراسات الأرشيف التاريخي. كما بدأت حكومات أخرى مثل بريطانيا ورومانيا وتركيا وإسبانيا في دعم أبحاث دراسات الاستخبارات، خاصة من خلال جمعيات دراسات الاستخبارات. وفي الوقت نفسه، ساهمت الأوساط الأكاديمية في دراسات الاستخبارات من خلال تطوير كادر من المتخصصين في دراسات الاستخبارات في أقسام العلوم السياسية والتاريخ[19].

3.2 إشكاليات المعرفة التراكمية:

يبدو أنّ المشكلة الأساسية في أدبيات دراسات الاستخبارات على وجه التحديد أنها ليست تراكمية فيما يتعلق بتاريخها الفكري. فقد تحتوي دراسات الاستخبارات، باعتبارها مجالًا للمعرفة، على كتب ومجلات لتوثيق الدروس المحددة، ولكنها لا تحتوي على عملية منظمة لتجميع وتقييم الأدبيات بحيث يتم تجميعها وجعلها تراكمية. حول ذلك يرى ستيفن مارين أن الرجوع إلى الأعمال السابقة حول نفس المواضيع أو موضوعات مشابهة، تستخدم لوضع المعرفة الجديدة فوق المعرفة القديمة كوسيلة لضمان تراكم المعرفة، نادرًا ما يقوم بها مؤلفو دراسات الاستخبارات[20]. وتزداد المعرفة بشكل واضح عندما يؤدي التعبير الرسمي عن وجهات نظر متضاربة إلى نقاش فكري، حيث يواجه أنصار مدرسة فكرية واحدة أنصار مدرسة فكرية أخرى في نقاش جماعي. إن تطوير النظام الأكاديمي يعتمد جزئيًا على الأقل على قدرته على خلق مناقشات مثمرة بين المدارس الفكرية المختلفة، ومن ثم تنمية المعرفة بشكل تراكمي مع استمرار النقاش.

من زاوية أخرى أجرى بعض العلماء مراجعات للأدبيات بطريقة أكثر شمولاً من غيرهم، وكانت هناك أيضًا جهود لتذكير العلماء والممارسين الحاليين بأولئك الذين شقوا الطريق قبلهم. على سبيل المثال، قام هيلسمان (1919-2014)، وهو ضابط سابق بالجيش الأمريكي ساهم في تأسيس الاستخبارات الأمريكية، وعمل مديراً

لمكتب الاستخبارات والبحوث في وزارة الخارجية، وصولاً إلى توليه منصب مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأدنى، فضلاً عن عمله الأكاديمي في عدة جامعات، بتطوير أطروحته للدكتوراه، ونشرها في عام 1956 بعنوان "الاستخبارات الاستراتيجية والقرارات الوطنية." وقد لعب هذا الكتاب دوراً مهماً في بلورة حقل الدراسات الاستخبارية على يد روجر هيلسمان =، حيث قام باستعراض أعمال جورج بيتي، وشيرمان كينت، وويلمور كيندال[21]، كما تم تقديم مجموعة من المراجعات نظمها روي جودسون في الثمانينيات لما تم نشره حتى تلك اللحظة[22]. ومن المساهمات القيمة الحديثة في المراجعات تقييم أنتوني أولكوت لكتابات شيرمان كينت، وويلمور كيندال، وجورج بيتي الذي يقارن ويتناقض مع وجهات نظرهم وأساليبهم المختلفة في تحليل الاستخبارات الاستراتيجية[23].

بمضيّ السنوات قفز مجال دراسات الاستخبارات قفزات أخرى للأمام مع صدور عدة مجلات دورية متخصصة، وبالأخص مجلة "الاستخبارات والأمن القومي" التي بدأ صدورها في عام 1986، وهي أول مجلة علمية مُحكمة تدرس تاريخ العمليات الاستخبارية، ومن خلال ذلك برز حقل "دراسات الاستخبارات" على يد أكاديميين من أصحاب التجارب العملية، سواء من ضباط الاستخبارات السابقين الذين تخصصوا في الحقل الأكاديمي أم من الأكاديميين الذين عملوا مستشارين للأجهزة الاستخبارية ومؤسسات صنع السياسات الأمنية، وبالأخص في أمريكا وبريطانيا. لذلك؛ ومن خلال ما تم استعراضه يبدو واضحاً حدوث تقدم وتوسع حول الأدبيات المتعلقة بدراسة الاستخبارات، وأصبح تراكم الأدبيات يتزايد بشكل ملحوظ، وذلك بسبب مساهمة الحكومات والأوساط الأكاديمية وضباط الاستخبارات السابقين في تقديم المعرفة.

2. الاقترابات النظرية لدراسة الاستخبارات

مع بداية التوسع في دراسة الاستخبارات ظهرت العديد من المقاربات، تتأثر في الغالب بطريقة تعريف الاستخبارات لأنها تحدد بالضرورة مناهج البحث والكتابة حول الموضوع[24]. وقد تم تحديد التعريف بطرق مختلفة، وهو ما يتوافق في كثير من الأحيان مع تقاليد الاستخبارات في الدولة، وثقافة السرية، وروح الحكم. على سبيل المثال، يدور التعريف الأمريكي للاستخبارات عمومًا، وكما أشرنا سابقاً حول عملية إنشاء منتجات استخباراتية من مصادر سرية ومفتوحة ليستخدمها صناع القرار، في حين يقع التعريف البريطاني بشكل مباشر في عالم المعلومات السرية التي يتم الحصول عليها بوسائل خفية. ولهذه التعريفات المتباينة تأثير كبير على توجهات البرامج الاستخباراتية في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والمناهج المستخدمة في دراستها[25].

بالإضافة إلى ذلك، فإن النهج المتبع في دراسة الموضوع متعدد الأبعاد يعتمد إلى حد كبير على القسم الأكاديمي الذي تقع فيه دراسات الاستخبارات. مثلاً؛ يتعامل برنامج استخباراتي داخل قسم التاريخ مع الاستخبارات بشكل مختلف عن برنامج استخباراتي يدرس من عدسة العلوم السياسية. إن الطبيعة المتعددة

التخصصات للاستخبارات تسمح له بالتصرف بهذه الطريقة، كما تسمح لمدارس الاستخبارات المختلفة بالتركيز على نهج واحد على الآخر[26].

1.3 بين مقاربتي "الباب الدوار" "والملفات المجاورة":

لا تتأثر المقاربات المختلفة الاستخبارات بالاختلافات الجوهرية بين المقاربات الأكاديمية وفهم ماهية الاستخبارات فحسب، بل ربما أيضًا بالعلاقات المختلفة بين استخبارات البلدان والمجتمعات الأكاديمية. ففي الولايات المتحدة، على الرغم من أن التحيز الأكاديمي ضد دخول مجتمع الاستخبارات ومشاركته في الخطاب الأكاديمي لا يزال قائما[27]، لكن من الممكن تحديد علاقة أكثر انفتاحا وسهولة بين الأوساط الأكاديمية ووكالات الاستخبارات الأمريكية مقارنة بالديمقراطيات الغربية الأخرى. ويساعد "الباب الدوار" – الانتقالات المتكررة بين المجالين الأكاديمي والحكومي – في الحفاظ على حضور ثابت لمحترفي الاستخبارات السابقين الذين يمكنهم تقديم رؤية عملية وذات خبرة.

بالإضافة إلى ذلك، فإن التطور التاريخي لدراسات الاستخبارات في الولايات المتحدة كعلم اجتماعي جاء نتيجة تحقيقات مجلس الشيوخ العام في وظائف وعمليات وتسييس الاستخبارات. وبالتالي؛ فإن هذه الثقافة المنفتحة نسبيًا تمكن النهج السائد في دراسات الاستخبارات الأمريكية من تضمين بناء نماذج نظرية مجردة توفر أساسًا أكاديميًا للموضوع بالإضافة إلى إكساب الطلاب المهارات المهنية لتحليل الاستخبارات من أجل تطوير مستوى مهارات دخول المرشحين المؤهلين للمبتدئين. يتم تشجيع هذه العملية بشكل نشط من قبل وكالات الاستخبارات الأمريكية، التي تأمل في زيادة الاهتمام العام والوعي بطبيعة وأنشطة الاستخبارات، ومن خلال ذلك، تعزيز شرعية مجتمع الاستخبارات وبناء مجموعة من المجندين المحتملين.

وفي بريطانيا، تبدو هذه العلاقة محدودة للغاية. إذ ترتكز "المدرسة البريطانية" لدراسات الاستخبارات بشكل أساسي على دراسات الحالة التاريخية والأبحاث، بما في ذلك القرارات المحددة التي اتخذها صناع السياسات وكيف أثر الاستخبارات على هذه القرارات[28]. ويرجع ذلك جزئيًا إلى المسافة التي يتم الحفاظ عليها بين الجمهور وأجهزة المخابرات. حيث يمنع قانون الأسرار الرسمية لعام 1989 مسؤولي المخابرات الحاليين والسابقين من التحدث عن عملهم ولم يتم إجراء تحقيقات عميقة في أجهزة المخابرات إلا في أعقاب حرب عام 2003 في العراق. بعد عام 1979، تمكن المؤرخون من الوصول إلى الأرشيف التاريخي والتاريخ الرسمي المعتمد لأجهزة المخابرات البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية (كانت الأساليب الأخرى المستخدمة بالتوازي هي البحث في "الملفات المجاورة" لوزارة الخارجية ووزارة الداخلية، وكذلك أرشيفات الحلفاء الاستخباراتيين)[29]. بالإضافة إلى ذلك، فإن الاعتقاد بأن الجامعات يجب

أن تركز بشكل صارم على المعرفة الموضوعية يرتبط بالرأي القائل بأنه من الأفضل ترك تدريب المحللين للأجهزة السرية، والتي تتأثر أيضًا بهذه المسافة بين الحكومة والأوساط الأكاديمية.

إنّ الأساليب المختلفة التي تستخدمها المجتمعات الأكاديمية الأمريكية والبريطانية لا تعكس التحديات التي تواجه دراسة الاستخبارات فحسب، بل تعكس أيضاً ثراء الموضوع وتنوعه. ويعتمد هذا بشكل كبير على طبيعة العلاقة بين وكالات الاستخبارات والأوساط الأكاديمية في كل دولة، فضلاً عن التقاليد والثقافة الأمنية. في الأساس، يمكن لدراسة الاستخبارات أن تكون في الغالب تاريخية وتعتمد على دراسة الحالة أو يمكن أن تكون في المقام الأول مجردة ونظرية وقائمة على العلوم الاجتماعية. يتأثر النهج الأمريكي أكثر بالعلوم الاجتماعية، في حين أن النهج البريطاني هو في الأساس تاريخي، ويؤكد على دراسات الحالة التاريخية ويعتمد على الوثائق الأرشيفية، وعلى النقيض منه يؤكد النهج الأمريكي على التنظير ولديه تفضيل واضح للجوانب الفنية والإجرائية للاستخبارات. بسبب الاختلافات التاريخية والمفاهيمية بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، يختلف البلدان في أساليبهما المستخدمة في التدريس والبحث.

يميل علماء الاستخبارات إلى تناول المقاربات النظرية وطرائق دراسة الاستخبارات من وجهات مختلفة وعدسات متعددة. فمثلاً؛ دراسة لين سكوت وبيتر جاكسون أتت في إطار السعي لتحقيق مناظير متميزة نسبيًا من خلال ثلاثة مقاربات. الأولى منها يفضلها المؤرخون الدوليون على وجه الخصوص، ولكنه أيضًا من سمات المقاربات النظرية التي تسعى إلى شرح العلاقة بين الهيكل التنظيمي وصنع السياسات، ويتصور دراسة الاستخبارات في المقام الأول كوسيلة للحصول على معلومات جديدة من أجل تفسير قرارات محددة، التي يصنعها صناع السياسة في السلم والحرب. يولي هؤلاء العلماء اهتمامًا وثيقًا بعملية جمع المعلومات الاستخبارية، وأصل وطبيعة المصادر الفردية للاستخبارات، والاستخدام الدقيق للاستخبارات أثناء انتقالها إلى أعلى سلسلة القرار[30].

وتسعى المقاربة الثانية إلى إنشاء نماذج عامة يمكن أن تفسر النجاح والفشل في عملية الاستخبارات. وهذه مقاربة تعتمد أكثر على العلوم السياسية وتركز بشكل كامل على تحليل الاستخبارات وصنع القرار. ويولي أتباع هذه المقاربة أهمية حاسمة إلى العوائق الهيكلية والمعرفية التي تحول دون الاستخدام الفعال للاستخبارات في عملية صنع السياسات. ويتوافق في ذلك مع كوبي مايكل وكورنبلوث في أنّ الهدف هو تحديد وتحليل التحيزات الشخصية والسياسية والمؤسسية التي تميز أجهزة الاستخبارات وتؤثر على أدائها في عملية صنع القرار[31]. وينصب التركيز هنا على دور المفاهيم المسبقة والافتراضات الأساسية في تكييف طريقة تحليل الاستخبارات واستخدامها، وطبيعة الإدراك والفهم الخاطئ، وصعوبة منع المفاجأة، وتسييس عملية الاستخبارات. ويلاحظ تركيز كلتا المقاربتين في المقام الأول على الاستخبارات كأداة لصنع السياسات الخارجية والدفاعية.

تركز المقاربة الثالثة على الوظيفة السياسية للاستخبارات كوسيلة لسيطرة الدولة. وقد شهد العقد الماضي على وجه الخصوص ظهور مجموعة من مؤلفات العلوم التاريخية والسياسية حول هذا الموضوع. فمثلاً؛ المواد الأرشيفية التي تم إصدارها مكنت الباحثين من دراسة دور أجهزة أمن الدولة في الحياة السياسية والاجتماعية في الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الشرقية بعد عام 1945. وقد وفر هذا حافزًا لعصر جديد. ومن الأمور المركزية في هذه المقابلة القضايا الأخلاقية الناشئة عن أنشطة منظمات الاستخبارات وسلطة الدولة.[32]

قام ستافورد توماس، أحد الباحثين الأمريكيين الأوائل في مجال الاستخبارات، بتفصيل أربعة مناهج نموذجية يتم الاستشهاد بها كثيرًا لدراسة الاستخبارات: أولها استخدام النهج التاريخي في دراسات الحالة والشخصيات الشهيرة وهو إما يعتمد على المذكرات أو يعتمد على الأرشيف؛ وثانيها النهج الوظيفي الذي يركز على الأنشطة والعمليات التشغيلية ويتعمق في القضايا الأكثر تجريدًا؛ وثالثها النهج الهيكلي ويدرس دور وكالات الاستخبارات والأمن في إدارة الشؤون الدولية؛ والطريقة الرابعة والأخيرة هي النهج السياسي، الذي يتناول قضايا صنع السياسات والحكم ويركز حصريًا على البعد السياسي للاستخبارات، بما في ذلك صنع القرار وصياغة السياسات وما إلى ذلك[33].

في سياق متصل حدد عالم الاستخبارات الكندي ويسلي وارك، في كتابه (التجسس: الماضي، الحاضر، المستقبل)، ثمانية مشاريع مختلفة مستخدمة في مقاربة دراسة الاستخبارات[34]. وبناء عليه يعتمد نهج دراسة الاستخبارات في اضفاء الطابع الأكاديمي بشكل كبير على أسلوب الحياة العامة والوطنية، والقيم السياسية وثقافة الاستخبارات والتعليم العالي، كما أنّ تعريف الاستخبارات يعد عاملاً محدداً مهماً في النهج المتبع، لأنّ الاختلاف في المواقف والتعريف ينعكس على العلاقة الأكاديمية بين مجتمعات الاستخبارات والمسار التنموي لدراسة الاستخبارات في الدول.

3. التوسع الأكاديمي لدراسة الاستخبارات:

شهد مجال الاستخبارات توسعاً أكاديمياً مضطرداً في العقدين الآخرين حيث نحا إلى إضافة الدراسات الاستخباراتية النقدية، ونقد النظرية الاستخبارية[35]، مما يدل على انعطاف ثقافي في دراسة الاستخبارات، وقد يكون لهذا التطور ارتباط بستيفن والت، ففي كتابة نهضة الدراسات الأمنية أوصى الباحثين بالتركيز على العلاقة بين الأوساط الأكاديمية والممارسة في ضمان التطور الصحي للمعرفة مع مرور الوقت[36]. وحدد والت أيضًا دعم الأبحاث وكذلك المعايير والروح السائدة في مجتمع الدراسات الأمنية كآليات يمكن من خلالها إجراء تحسينات على إنتاج المعرفة في هذا المجال، وهي آليات تصلح كمعادل في دراسات الاستخبارات.

كانت دراسات الاستخبارات كنظام أكاديمي في مراحلها التكوينية لمدة 20 عاماً تقريباً، من منتصف الثمانينيات وحتى أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. ثم دخلت في شكل من أشكال المراهقة نتيجة لتدفق الفوائد والأموال في اتجاهها بعد هجمات سبتمبر 2001. خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين

تطورت الأدبيات من حيث التعقيد والتجريد، والتركيز الإضافي على مفاهيم ونظريات الاستخبارات الأساسية. مع استمرار نضوج هذا المجال، فإنّ تحسين دراسات الاستخبارات كنظام أكاديمي سيتطلب العودة إلى الأساسيات العلمية وأفضل الممارسات من أجل إنشاء مجموعة تراكمية وشاملة ومؤثرة من المعرفة التخصصية للباحثين والممارسين المستقبليين للتعلم منها والمساهمة فيها.

تبلورت آنذاك مدرستان رئيسيتان لدراسة الاستخبارات، فالمدرسة الأولى ترى أن الاستخبارات صارت أو على الأقل ينبغي أن تصير فرعاً من فروع العلوم الاجتماعية، [37]ودعت إلى إزالة الغموض عن طبيعة عمل الاستخبارات، وتشجيع تدفق الأفكار بين أجهزة الاستخبارات والأوساط الأكاديمية، ومساعدة الاستخبارات على التقدم نحو الهدف المرجو بان تصبح أشبه ما يمكن بعلم اجتماعي، ولتصير وكالات الاستخبارات شبيهة بمؤسسات الفكر والرأي.

أما المدرسة الفكرية الأخرى فقالت إن الغرض من الكتابة العامة عن الاستخبارات هو كشف الأخطاء والعيوب، والمساعدة في إحداث تغيير للأفضل في الطريقة التي تعمل بها وكالات الاستخبارات. [38] ورأت تلك المدرسة أن الأسرار والخبايا التي قد تُكشف أثناء ذلك أمر ثانوي مقارنة بالضرر الذي تسببه وكالات الاستخبارات نفسها عندما تعمل خارج نطاق الرقابة والتدقيق العام.

قفزت دراسة علم الاستخبارات على يد هاتين المدرستين خطوات للأمام بمرور الوقت، فصارت مجالاً معترفاً به في الدراسة الأكاديمية، خاصةً في البلدان الناطقة باللغة الانجليزية، وذلك لان المعلومات المتاحة على المستوى العام حول قضايا الاستخبارات عادة ما تتعلق بأجهزة استخبارات الدول ذات الانظمة الأكثر انفتاحاً.

اعتمدت الأدبيات الأكاديمية آنذاك على المصادر التاريخية التي تتناول الحرب العالمية الثانية، والحرب الباردة، ثم عقب سقوط الشيوعية في الاتحاد السوفييتي السابق وأوروبا الشرقية، حيث أتيح للباحثين الوصول إلى بعض السجلات الاستخباراتية، وخصوصاً في ألمانيا الشرقية مما أسهم في تطور منهج الاستخبارات، ولاحقاً عقب أحداث سبتمبر وغزو العراق ازداد الاهتمام الأكاديمي بالتحليل الاستخباري، ودراسة معوقاته، وكيفية تطويره لتلافي الفشل الاستخباري في استقراء خطر بعض التنظيمات الإرهابية، والمهددات الدولية بالشكل المناسب، فضلاً عن فضيحة الاستخبارات الأميركية المتعلقة بمزاعمها حول امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل.

4. التحديات والمعوقات التي تواجه حقل الدراسات الاستخباراتية الأكاديمية:

يبدو أنَّ هذا العمق والاتساع في جانب الدراسات الاستخباراتية يطرح تحديات مثيرة للاهتمام بالنسبة لهذا التخصص من ناحية، وللقائمين عليه من ناحية ثانية. وهو تحدي يصعب الحكم علية حالياً، لأن نشأة الدراسات الاستخباراتية في المؤسسات الأكاديمية يعد حديثاً، وبالتالي لا معياراً كافياً للحكم عليه، لكن ومن خلال دراسة الأعوام الماضية، وطرائق الإعداد والتجهيز، والقائمين على أمر هذه الدراسات الاستخباراتية والسرية التي تحيط

بالمنظمات الاستخبارية وعملائها، والحساسية المفهومة لدي القادة السياسيين لإساءة استخدام العمل الاستخباري، فإنّ التقدم في هذا المجال يعاني بعض البطء، وتعتمد معظم المعرفة الجديدة على دراسة الحالة التاريخية بدلاً من الدراسات والأحداث المعاصرة.

ولذلك؛ هنالك حاجة إلى مزيد من التعاون مع الأجهزة نفسها. وقد أشرنا في بداية الدراسة إلى أن هنالك مدرستان: أمريكية وبريطانيا، وتميل الأولى إلى الانفتاح النسبي وكشف بعض الأسرار وسهولة الانتقال والتداول بين المجالين الأكاديمي والحكومي الاستخباري. بينما تتجه الثانية إلى محدودية العلاقة، وحفظ المسافة بين الجمهور وأجهزة الاستخبارات، ولذلك ظلت الأساليب المستخدمة لتطوير الدراسات الاستخباراتية في المدرسة البريطانية تواجه تحديات أكبر.

وربما يبدو كذلك أنّ هنالك نوع من التوتر أو الجفوة بين الجوانب المهنية لممارسي الاستخبارات؛ والأوساط الأكاديمية والجوانب العلمية، فممارسي الاستخبارات والضباط السابقين لا يهتمون بالشكل الكافي بالمناقشات والترقيات الأكاديمية من ناحية، ومواقف الأوساط الأكاديمية التي مازالت تنظر لعمل الاستخبارات بعين الريبة والشك، باعتباره عمل تجسسي وليس أكاديمي من ناحية ثانية.

بالإضافة لذلك؛ هنالك عددًا من العقبات لا تزال تمنع دراسات الاستخبارات في بعض الدول لا سيما العربية من مواصلة النضج، مثل ندرة أعضاء هيئة التدريس ذوي الخبرة، والثغرة في الأدب المتخصص، وغياب تعريف مفاهيمي ونظري واضح للاستخبارات، فضلاً عن عدم وجود فهم مشترك لكلمة الاستخبارات؛ وعملية رفع السرية البطيئة، حيث أن هناك أسباباً ثقافية واجتماعية وراء التجاهل الواضح لهذا الموضوع. ولم يحظ العمل الاستخباراتي بتقدير من جانب السياسيين، ويُنظر إلى بعض وظائف الاستخبارات كـ "التجسس" بشكل سلبي. ولم يعتبر المؤرخون وعلماء السياسة تقليديًا الاستخبارات معيارًا مهمًا لفن الحكم، ولم يعتبروا أجهزة الاستخبارات أصحاب مصلحة مهمين في سياسة الدولة. كما أنّ الطبيعة السرية للعمل الاستخباراتي لم تسهل عمل الباحثين، ومسألة الوصول إلى الوثائق أعاقت البحث التاريخي.

عموماً شهدت فترة الخمسينات والستينات من القرن الماضي انتشاراً للدوريات والكتب التي تناولت الاستخبارات، وكانت عملية التحول الأكاديمي بطيئة ومثقلة بالأدوار المظلمة التي لعبتها أجهزة الاستخبارات في أوقات معينة من التاريخ، لكن؛ ساعدت عدد من العوامل في عملية تطوير دراسة الاستخبارات، مثل اهتمام بعض الحكومات، والمؤسسات الأكاديمية، وخبرات الضباط السابقين، مما يوحي بأنّ مستقبل الدراسات الاستخباراتية مشرق.

5. الخاتمة:

حاولت الدراسة فحص المضامين النظرية والأكاديمية والأدبية الي تنطوي عليها دراسة الاستخبارات، ويعد التنظير فيها من بين المجالات المعرفية الحديثة نسبياً. ودراسة الاستخبارات تعد تخصصاً فرعياً حديثاً من الدراسات الأمنية، وفي ذات الوقت تعتبر موضعاً من مواضيع واهتمامات العلاقات الدولية. ونظراً للارتباط الوثيق بين الاستخبارات والأمن القومي، فإن الجامعات التي تقدم مناهج متخصصة تطلق عليه دراسات الاستخبارات والأمن.

كانت عملية التحول الأكاديمي بطيئة ومثقلة بالأدوار المظلمة التي لعبتها أجهزة الاستخبارات في نقاط معينة من التاريخ. وظلت دراسات الاستخبارات كنظام أكاديمي في مراحلها التكوينية من منتصف الثمانينيات وحتى أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. ثم دخلت في شكل من أشكال المراهقة نتيجة لإخفاقات الاستخبارات. لكن؛ خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، تطورت الأدبيات من حيث التمهر والتجريد، وصارت أكثر تراكمية واحترافية وتنظيمًا وانضباطًا.

تخضع دراسات الاستخبارات حاليًا، باعتبارها مجالًا للمعرفة، إلى التخصصات الأكاديمية التقليدية الأخرى بما في ذلك العلوم السياسية والعلاقات الدولية والتاريخ والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس وتخصصات الاتصالات، في حين أن الأدبيات المتعلقة بدراسات الاستخبارات في حد ذاتها واسعة النطاق، لكن العديد من العلماء الحاليين لا يدمجون معرفتهم ورؤيتهم بشكل كافٍ في عملهم. ونتيجة لذلك، لا يدمج الباحثون الأكاديميون الفروق الدقيقة الواسعة التي تنعكس في أدبيات دراسات الاستخبارات، ويعتمدون في كثير من الأحيان على التعميمات العامة والتوصيفات الخاطئة. إن تحسين تماسك ودقة دراسات الاستخبارات كنظام أكاديمي سوف يسلط الضوء على اتساع وعمق الأدبيات لأولئك الذين لم يكونوا على علم بها في السابق.

لكن؛ شهدت الدراسات الاستخباراتية كحقل أكاديمي تطوراً كبيراً، وتقف الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وكندا وعدد من الدولة الأخرى في طليعة الجهود الأكاديمية المتعلقة بالاستخبارات، وذلك بالاستفادة من تراكم الأدبيات السابقة، وضباط الاستخبارات السابقين الذين عملوا على رعاية وتطوير هذا الحقل، ومراجعات التجارب الاستخبارية السابقة، وتقديم مقترحات حديثة للتطوير.

منذ بداية الثمانينيات من القرن الماضي، أصبح التمييز بين نهجين بارزين في إضفاء الطابع الأكاديمي على الاستخبارات أكثر وضوحا. يتأثر النهج الأمريكي أكثر بالعلوم الاجتماعية، في حين أن النهج البريطاني هو في الأساس فلسفة تاريخية. وعلى النقيض من النهج البريطاني، الذي يركز على دراسات الحالة التاريخية ويعتمد على الوثائق الأرشيفية، يؤكد النهج الأمريكي على التنظير والتفضيل الواضح للجوانب التقنية والإجرائية للاستخبارات. لا تتأثر الاختلافات بين المدرستين بالمناهج الأكاديمية المتباينة فحسب، بل أيضًا بالحدود بين ممارس الاستخبارات.
تستخلص الدراسة عدد من النتائج، على النحو التالي:

●الأهمية المتزايدة للدور الذي يلعبه مجتمع الاستخبارات في تشكيل سياسة الدولة الداخلية والخارجية يشير إلى ضرورة تعزيز فهم العمل الاستخباري وأساليبه.

●اقترن نمو دراسات الاستخبارات في العقود الثلاثة الأخيرة بوعي عام متزايد بالاستخبارات. وتقف بعض الدول في طليعة الجهود المتعلقة بدراسة الاستخبارات.

●تم إحراز تقدم نظري ومفاهيمي في دراسة الاستخبارات، ولكن يعد في بداية الطريق.

●تحسن دراسة الاستخبارات كنظام أكاديمي تتطلب العودة إلى الأساسيات العلمية، وأفضل الممارسات للأجهزة والضباط السابقين من أجل إنشاء مجموعة تراكمية وشاملة ومؤثرة من المعرفة التخصصية.

●سيعتمد تطوير دراسات الاستخبارات على النجاح في خلق ثقافة أكاديمية تدرك أن دراسة الاستخبارات في المجتمع ليست طبيعية فحسب، بل أساسية، وأن مجتمع الاستخبارات هو جزء من آلية الدولة الحديثة.

●من المتوقع تطور الدراسات الأكاديمية في الأوساط الأمريكية نظراً لاعتمادها على مناهج العلوم الاجتماعية وبخاصة العلوم السياسية والتي هي أقرب إلى دراسة الاستخبارات كظاهرة واستقراء الحاضر والتنبؤ بالمستقبل، والتي يجسدها سياسة الباب الدوار.

6.الهوامش:

[1] Julian Richards, Intelligence Studies, Academia and Professionalization, The international journal of intelligence, security and public affairs, Vol. 18, no. 1, 2016, PP. 5-6.

[2] ونستون تشرشل كان رئيس وزراء المملكة المتحدة، ويعد من أشهر القادة السياسيين، وعمل في بداية حياته ضابط بالجيش البريطاني وتميز بأنه كاتباً ومؤرخاً وفناناً ونال جائزة نوبل في مجال الأدب.

[3] أنظر على سبيل المثال:

a. Efren Torres, The Limitations of History to the Field of Intelligence, E-International Relations, SSN 2053-8626, (2 0 1 4).
b. Len V. Scott and Peter Jackson (eds.) Understanding Intelligence in the Twenty-First Century: Journey in Shadows.
c. Michael Herman, 'What can intelligence analysts learn from historians (and from international relations academics)?

[4] محمد اسعدي، إمكانيات إصلاح مؤسسات الجيش ورهاناته في العالم العربي: دراسة أولية مقارنة، سياسات عربية، العدد 24 (2017)، ص 64.

5 من قواعد العمل الاستخباري إعطاء المعلومة على قدر الحاجة، لا بحسب الثقة، فالمعلومة التي قد يقيمها البعض بأنها غير مهمة من الممكن أن تقوم مخابرات العدو بربطها مع أخريات على قاعدة مراكمة المعلومات، ومن خلال ذلك قد تصل إلى الهدف المنشود.

[6] Wesley K. Wark, Introduction: the study of espionage: past, present, future? Intelligence and National Security, Vol. 8, no. 3, 1993, p. 3.

[7] شادي عبد الوهاب، دراسات الاستخبارات: الحقل الجديد في الدراسات الأمنية، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، العدد 2 (2018)، ص 3.

[8]Sherman Kent, Strategic Intelligence for American World Policy (Princeton, NJ: Princeton University Press 1949), p. ix.

9 Abram N. Shulsky and Gary J. Schmitt, Silent Warfare: Understanding the World of Intelligence, (Washington DC: Potomac Books,2002, 175.

10Mark Phythian, Intelligence theory and theories of international relations: Shared world or separate worlds? in: Peter Gill (et al.)، Intelligence theory: key Questions and debates, (Oxon: Routledge, 1st edition: 2009)، p. 57.

11 Kobi Michael and Aaron Kornbluth, "The Academization of Intelligence: A Comparative Overview of Intelligence
Studies in the West", Cyber, journal of Intelligence and Security, Vol. 3, No. 1(May 2019), pp. 5-6.

12 Sherman Kent, "The Need for an Intelligence Literature"، Studies in Intelligence Spring (1955) pp.1–11.

13 Washington Platt, Strategic Intelligence Production: Basic Principles (USA: Praeger 1957) pp.133–4.

14 Stephen Marrin, Improving Intelligence Studies as an Academic Discipline, Intelligence and National Security, Vol. 31, no. 2, 2016, p. 268.

15 أنظر لمزيد من التفصيل إلى:

a.Loch K. Johnson and Allison M. Shelton, "Thoughts on the State of Intelligence Studies: A Survey Report," Intelligence and Nation- al Security 28, no. 1 (2013): 109–120.

b.Cristian Barna, "From Profession to Discipline: The Development of Romanian Intelligence Studies," International Journal of Intelligence and Counterintelligence 27, no. 4 (2014): 772–784.

c.Gustavo Diaz Matey, "The Development of Intelligence Studies in Spain," International Journal of Intelligence and Count- ter intelligence 23, no. 4 (2010): 748–765.

d.Eric Denécé and GéraldArboit, "Intelligence Studies in France," International Journal of Intelligence and Counterintelligence 23, no. 4 (2010): 725–747.

16 Christopher Andrew, "Intelligence Analysis Needs to Look Backwards Before Looking Forward"، paper given at the New Frontiers of Intelligence Analysis Conference, "Shared Threats, Diverse Perspectives, New Communities" , 31 March–2 April 2004.

17 The Life of Reason or The Phases of Human Progress: Introduction and Reason in Common Sense, Volume VII, Book One (NY: Scribner's 1905–6).

18 Russell G. Swenson, "Meeting the Intelligence Community's Continuing Need for an Intelligence Literature"، Defense Intelligence Journal 11/2 (2002) pp.87–96.

19 Stephen, p. 267.

20 Ibid. 4.

21 Roger Hilsman, Strategic Intelligence and National Decisions (Glencoe, IL: The Free Press 1956) pp.123–37.

22 لمزيد من التفصيل أنظر:

Godson, The New Study of Intelligence, pp.1–6; Robertson, "The Study of Intelligence in the United States", pp.7–42; Christopher Andrew, "Historical Research on the British Intelligence Community", in Roy Godson (ed.) Comparing Foreign Intelligence: The US, USSR, UK and the Third World (Washington, DC: Pergamon-Brassey's 1988) pp.43–64.

23 Anthony Olcott, "Revisiting the Legacy: Sherman Kent, Willmoore Kendall, and George Pettee – Strategic Intelligence in the Digital Age" , Studies in Intelligence 53/2 (2009) pp.21–32.

24 Len Scott and Peter Jackson, "The Study of Intelligence in Theory and Practice," Intelligence and National Security 19, no. 2 (2004): 141.

25 Kobi Michael and Aaron Kornbluth, "The Academization of Intelligence: A Comparative Overview of Intelligence
Studies in the West", Cyber, journal of Intelligence and Security, Vol. 3, No. 1(May 2019), pp. 124-125.
26Ibid.
27Matthew D. Crosston, "Fragile Friendships: Partnerships Between the Academy and Intelligence," International Journal of Intelligence and Counterintelligence, vol. 31, no. 1 (2018)، pp 139–158.
28 Kobi, p.126.
29Len Scott, "Sources and Methods in the Study of Intelligence: A British View," Intelligence and National Security 22, no. 2 (2007)، pp 185–205.
30 Len and Peter, p.143.
31 Kobi Michael and Aaron Kornbluth, p. 128.
32Len and Peter. p. 144.
33 Goodman, Studying and Teaching about Intelligence. See also, Stafford. T. Thomas, "Assessing Current Intelligence Studies," International Journal of Intelligence and Counterintelligence 2, no. 2 (1988), pp 217–244.

34 لمزيد من التفصيل أنظر

Wesley K. Wark, "Introduction: The Study of Espionage: Past Present, Future?" Intelligence and National Security 8, no. 3 (1993): 1–13.

35 على سبيل المثال أنظر:

a. Samantha Newbery & Christian Kaunert, Critical Intelligence Studies: a new framework for Analysis, Intelligence and National Security, Taylor & Francis Group, (2023).
b. Jules J. S. Gaspard, Intelligence without Essence: Rejecting the Classical Theory of Definition, Volume 30, Taylor & Francis Group, (2017).
36 Stephen M. Walt, The Renaissance of Security Studies, International Studies Quarterly 35/2 (1991) pp.211–39.
37 Patrick F. Walsh, Improving strategic intelligence analytical practice through Qualitative social research, Intelligence and National Security, Vol. 32, no. 5, 2017, p. 549.
38 Or Arthur Honig, A New Direction for Theory-Building in Intelligence Studies, International Journal of Intelligence and Counter- Intelligence, Vol. 20, no. 4, 2007, p. 701.

6. قائمة المراجع:

أولاً: بالعربية:

1. شادي عبد الوهاب، دراسات الاستخبارات: الحقل الجديد في الدراسات الأمنية الحديثة، (أبو ظبي: المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 2018).
2. محمد اسعدي، إمكانيات إصلاح مؤسسات الجيش ورهاناته في العالم العربي: دراسة أولية مقارنة، سياسات عربية، العدد 24 (2017).

ثانياً: باللغة الانجليزية:

1. Abram N. Shulsky and Gary J. Schmitt, Silent Warfare: Understanding the World of Intelligence, (Washington DC: Potomac Books,2002.
2. Anthony Olcott, "Revisiting the Legacy: Sherman Kent, Willmoore Kendall, and George Pettee – Strategic Intelligence in the Digital Age", Studies in Intelligence 53/2 (2009).

3. Christopher Andrew, "Historical Research on the British Intelligence Community", in Roy Godson (ed.) Comparing Foreign Intelligence: The US, USSR, UK and the Third World (Washington, DC: Pergamon-Brassey's 1988).
4. Christopher Andrew, "Intelligence Analysis Needs to Look Backwards Before Looking Forward", paper given at the New Frontiers of Intelligence Analysis Conference, "Shared Threats, Diverse Perspectives, New Communities", 31 March–2 April 2004.
5. Cristian Barna, "From Profession to Discipline: The Development of Romanian Intelligence Studies," International Journal of Intelligence and Counterintelligence 27, no. 4 (2014).
6. Eric Denécé and GéraldArboit, "Intelligence Studies in France," International Journal of Intelligence and Counterintelligence 23, no. 4 (2010).
7. Godson, The New Study of Intelligence, pp.1–6; Robertson, "The Study of Intelligence in the United States".
8. Goodman, Studying and Teaching about Intelligence. See also, Stafford. T. Thomas, "Assessing Current Intelligence Studies," International Journal of Intelligence and Counterintelligence 2, no. 2 (1988): 217–244.
9. Gustavo Diaz Matey, "The Development of Intelligence Studies in Spain," International Journal of Intelligence and Count- ter intelligence 23, no. 4 (2010).
10. Julian Richards, Intelligence Studies, Academia and Professionalization, The international journal of intelligence, security and public affairs, Vol. 18, no. 1, 2016.
11. Kobi Michael and Aaron Kornbluth, "The Academization of Intelligence: A Comparative Overview of Intelligence Studies in the West", Cyber, journal of Intelligence and Security, Vol. 3, No. 1(May 2019).
12. Len Scott and Peter Jackson, "The Study of Intelligence in Theory and Practice," Intelligence and National Security 19, no. 2 (2004).
13. Len Scott, "Sources and Methods in the Study of Intelligence: A British View," Intelligence and National Security 22, no. 2 (2007).
14. Loch K. Johnson and Allison M. Shelton, "Thoughts on the State of Intelligence Studies: A Survey Report," Intelligence and Nation- al Security 28, no. 1 (2013).
15. Mark Phythian, Intelligence theory and theories of international relations: Shared world or separate worlds? in: Peter Gill (et al.), Intelligence theory: key Questions and debates, (Oxon: Routledge, 1st edition: 2009).
16. Matthew D. Crosston, "Fragile Friendships: Partnerships Between the Academy and Intelligence," International Journal of Intelligence and Counterintelligence, vol. 31, no. 1 (2018).
17. Or Arthur Honig, A New Direction for Theory-Building in Intelligence Studies, International Journal of Intelligence and Counter- Intelligence, Vol. 20, no. 4, 2007.
18. Patrick F. Walsh, Improving strategic intelligence analytical practice through Qualitative social research, Intelligence and National Security, Vol. 32, no. 5, 2017.
19. Roger Hilsman, Strategic Intelligence and National Decisions (Glencoe, IL: The Free Press 1956).
20. Russell G. Swenson, "Meeting the Intelligence Community's Continuing Need for an Intelligence Literature", Defense Intelligence Journal 11/2 (2002).
21. Sherman Kent, Strategic Intelligence for American World Policy (Princeton, NJ: Princeton University Press 1949).
22. Sherman Kent, "The Need for an Intelligence Literature", Studies in Intelligence Spring (1955.
23. Stephen Marrin, Improving Intelligence Studies as an Academic Discipline, Intelligence and National Security, Vol. 31, no. 2, 2016.

24. Stephen M. Walt, The Renaissance of Security Studies, International Studies Quarterly 35/2 (1991).
25. The Life of Reason or The Phases of Human Progress: Introduction and Reason in Common Sense, Volume VII, Book One (NY: Scribner's 1905–6).
26. Washington Platt, Strategic Intelligence Production: Basic Principles (USA: Praeger 1957).
27. Wesley K. Wark, Introduction: the study of espionage: past, present, future? Intelligence and National Security, Vol. 8, no. 3, 1993.